تاريخ شعراء العربية

العصر العباسي الثاني

عبد الله بن المعتز



إعداد

الدكتور محمد حسني مصطفى

مراجعة

أحمد عبد الله فرهود



منشورات

دار القلم العربي بحلب

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

عنوان الدار

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي

شارع هدى الشعراوي

هاتف : ٢٢١٣١٢٩ ص . ب : / ٧٨ / فاكس : ٢٢١٢٣٦١ ٢١ - ٠٠٩٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مولده ونشأته

وُلِدَ عبد الله بن المعتزّ بن المتوكّل سنة ٢٤٧ هـ قبل مقتل جدّه الخليفة المتوكّل بأربعين يوماً ، ونشأ في فترة الاضطراب السياسي التي دامت قرابة تسع سنوات (٢٤٧ - ٢٥٦) ، وتجرّع مرارةَ تلك الفترة ، إذ قُتل أبوه المعتزّ سنة ٢٥٥ بعد أن حكم أربع سنين ، ونُفِي عبد الله بن المعتزّ هو وأمّه وجدّته إلى مكّة المكّرمة .

أُعيد بعد ذلك إلى " سامراء " ، واهتمّت جدّته بتربيته ، وأغدقت على مؤدّبيه ، وتخَيَّرتْهُمْ من الأعلام الجهابذة ، مثل أحمد بن سعيد الدمشقي ، والمبرّد ، وثعلب ، والبلاذري ..

ثقافته

عهدتْ جدّته إلى البلاذري أن يدرّسه ، فامتعضَ مؤدّب له قديم هو أحمد بن سعيد الدمشقي ، ولم يعد يأتيه ، فكتب إليه عبد الله بن المعتزّ ، وكان عمره ثلاثة عشر عاماً :

أصبحْتَ يا بنَ سعيد حُزْتَ مكرمةً ... عنها يقصّر مَنْ يحفَى وينتعل
سَرْبَلْتني حكمةً قد هذّبتْ شِيَمي ... وأجّجت غَرْبَ ذهني فهوَ مُشتَعِلُ[1]
أكون إنْ شئتُ قسّاً في خطابتهِ ... أو حارثاً وهو يوم الفخر مُرتَجِلُ[2]

---

(١) سربلتني : ألبستني . غرب الذهن : حدّته وتوقّده .

(٢) قس بن ساعدة الإيادي من مشاهير الخطباء في الجاهليّة . والحارث بن حلّزة شاعر من شعراء المعلّقات العشر .

وإنْ أشـأ فكزَيْـدٍ فـي فرائضِـه   أو مثل نعمانَ ما ضاقتْ به الحِيَلُ[1]
أو الخليل عروضيّاً أخـا فِطَـنٍ   أو الكسائيّ نحويـاً لـه عِلَـلُ[2]

فقد تأدّب عبدُ الله ، فهو خطيبٌ مصقع ، وشاعر بارع ، وتفقّه ودرس علوم العربيّة من عروض ، ونحو ، وعلَلٍ نحويّة ، واطّلع على المنطق والفلسفة والفلك ، والتاريخ .

وكان البحتريّ قد ألمع إلى مباكرته المعارف ، فقال :

أبا العبّاس برَّزْتَ على قومِكَ   آدابـاً وأخلاقـاً وتمييـزا[3]
فأمّا حلبةُ الشِّـعْر فتَسْـتَولي   على السَّبْقِ بها فَرْضاً وتمييزا

وممّا اطّلع عليه ابن المعتزّ أيضاً أطرافٌ من علم الفلك والتّنجيم ، إذْ نراه يقول :

ولا تفزعنْ منْ كلّ شيءٍ مفزِّعٍ   فما كلّ تربيع النُّجومِ بِضائرِ

وهو هنا ينهى عن الأخذ بأقوال العرّافين والمنجّمين ، فيذكّرنا بصنيع أبي تمام في قصيدته التي عرض فيها لفتح عمّورية .

---

(١) زيد بن ثابت ﷺ أعلم الصّحابة في علم الفرائض (المواريث) . والنعمان بن ثابت هو اسم الإمام أبي حنيفة ﷺ .

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري واضع علم العروض.والكسائي أحد القراء السّبعة ورئيس مدرسة الكوفة في النحو .

(٣) الأبيات من بحر الهزج .

مـؤلّـفـاتــه

لابن المعتزّ ديوان شعر تطرَّق فيه لأكثر أغراض الشعر العربـي مـن فخـر ومدح وغزل وهجاء ووصف ورثاء وزهد ....

وله كتاب البديع ، وهو أوّل من ألّف في هذا الباب ، ولذلك لم يقصـره على البحوث المعروفة اليوم بهذا الاسم ، وذكر فيه سبعة عشـر لونـاً ، وأراد أن يبيّـن أن العباسـيين ليسـوا أوّل مَـنْ طرقهـا ، فهـي منثـورة في القــرآن الكريــم والحديث النبوي والشعر القديم .

ولـه أيضـاً طبقـات الشـعراء ، وحلـى الأخبـار ، وأشـعار الملـوك ، والشراب ، وفصول التماثيل في تباشير السرور ، والزهـر والريـاض ، والجـوارح والصيد ، والجامع في الغناء ، والرقاب ، ومكاتبات الإخوان ، والسَّرقات .

مع عمّه المعتمد

وافقـت نشـأة ابـن المعتزّ فـترة اضطـراب سياسـي ردّهـا المؤرّخــون إلى استفحال شأن المماليك الأتراك الذين استكثر منهم المعتصم ، إذ نراهم يوقــدون فتنةً نكراء ويقتلون الخـليفة المتوكّل بن المعتصم ، بعد أن حكم خمسة عشر عاماً (٢٣٢ - ٢٤٧) ، فجاء بعده ابنـه المنتصـر ، وكـان متّهمـاً في الاشـتراك مـع الأتراك في قتل أبيه جعفر المتوكّل ، لكنّه لّما وصـل إلى الخلافـة كـاد للأتـراك ، فسمُّوه سنة ٢٤٨ هـ ، ولم يَحْكم سوى أشهر .

جاء بعده عمّه المستعين بن المعتصم (٢٤٩ - ٢٥٢) ، فبويع ، ويبدو أنه أراد الحَجْر على ابن أخيه (المعتزّ بن المتوكل) لطمعه في الخلافة ، ومع أن سلطة الأتراك كانتْ واسعة قَتَلَ المستعين زعيمَيْن كبيرين لهم وهماوصيف وبغا، ونفى زعيماً ثالثاً هو باغر الذي كان قد فتك بالخليفة المتوكل (أخي المستعين) .

لكنَّ الأتراك شغبوا عليه ، وأخرجوا المعتزّ من الحبس ، وبايعوه ، وهو ابن عشرين سنة ، فقتل عمّه المستعين بن المعتصم ، وكانت مبايعة المعتزّ بن المتوكل سنة ٢٥٢ هـ .

حكم المعتزّ قرابةَ أربع سنين ، كان خلالها مستضعفاً أمام المماليك الأتراك ، وطالبوه مرّة بأرزاقهم ، فعجز عن إعطائهم ، فخلعوه ، وولَّوْا محمد ابن الخليفة الواثق بن المعتصم ، وأماتوا المعتزّ تعطيشاً . وتلّقب محمد بن الواثق بالخليفة المهتدي ، وكان ذا ورع وتقوى ، وأمضى مدّة خلافته كلّها صائماً وهو ابن عمِ المعتزّ ، ولكنه قُتل على يد هؤلاء الشغبيّين سنة ٢٥٦ ، وكانوا عندما بايعوه قد أبعدوا عبد الله بن المعتزّ وجدّته (قبيحة أم المعتزّ) إلى مكّة المكّرمة ، وسجنوا المعتمد بن المتوكل (أخا المعتزّ) .

فلما قتلوا المهتدي اتّجهوا إلى سجن قصر الجوسق ، وأخرجوا المعتمد بن المتوكّل بن المعتصم بن الرَّشيد ، وبايعوه ، فاستعمل أخاه الموفّق طلحة على المشرق ، والمعتمد هو ابن عم المهتدي (الخليفة الذي قبله) ، وعمّ عبد الله بن المعتزّ ، وهو الذي استقدمه من مكّة إلى العراق ، بعد تسلُّمِهِ الحكم ، ولم يكن المعتمد من الجدّ والاستقامة على ما كان عليه أخوه القائد المظفّر الموفّق طلحة ابن المتوكّل ، وذلك الذي أنشأ بينهما سحابة من الارتياب ، وضعف الثّقة ، وأورثهما أيضاً شيئاً من الاختلاف ، ثمّ مات الموفّق طلحة سنة ٢٧٨ هـ ، ومات المعتمد سنة ٢٧٩ هـ .

وكان بين المعتمد وابن أخيه عبد الله بن المعتزّ تدانٍ في المَشْرب ، فقال ابن المعتزّ يمدح عمَّه :

يا خير مَنْ تُزْجَى المطيُّ له | ويُمِرُّ حبلَ العهد مُوثِقُهُ[1]
أضحى عنانُ المُلْك مُقتسراً | بيديكَ تحبسُه وتُطْلقُهُ[2]
فاحكمْ لكَ الدنيا وساكنها | ما طاشَ سهمٌ أنتَ مُوفِقُهُ[3]

في عهد المعتضد

تولى الحكمَ بعد المعتمد ابن أخيه المعتضد بن الموفق طلحة وكانت فيه شمائل من أبيه الموفّق طلحة ، فجدَّدَ مُلْكَ بني العباس ، وكان قد ضَعُف وكاد يزول ، وتسلّل إليه الخَلَلُ منذ مقتل المتوكّل ، وفي ذلك يقول عبد الله بن المعتزّ :

أمَا ترى مُلْك بني هاشمٍ | عاد عزيزاً بعدما ذُلّلا
يا طالباً للملك كنْ مثلَه | تستوجبُ الملك ، وإلاَّ فلا

واعتلَّ المعتضد سنة ٢٨٩ هـ ، وكان في السابعة والأربعين من عمره ، فقال عبد الله بن المعتزّ :

---

(١) تزجى : تُساق . يمرّ : يبرم ، موثق : قاطعه (منشئه) .

(٢) عنان : رسن . مقتسراً : خاضعاً .

(٣) موفقه : مسدّده ، رائشه .

طار قلبي بجناح الوجيبِ جزعاً من حادثات الخطوبِ[1]
وحِذاراً أن يشاكَ بسوءٍ أسَدُ المُلْك وسيَفُ الحروبِ[2]

ومات الخليفة المعتضد في تلك السنة نفسها (٢٨٩ هـ) فقال ابن عمه (عبد الله بن المعتزّ) يرثيه :

يا دَهْرُ ويْحَكَ ما أبقيتَ لي أحدا وأنتَ بالله والدُ سوء تأكلُ الولَدا
أستغفر اللهَ ، بل ذا كلُّه قدَرٌ رضيتُ بالله ربّاً واحداً صَمَدا[3]
يا ساكنَ القبر في غبراءَ مُظْلمةٍ بالطّاهريّة مُقْصَى الدار منفردا[4]
أينَ الجيوشُ التي قد كنت تُنْجبها أينَ الكنوزُ التي أحصيتَها عَددا
أينَ السَّريرُ الّذي قد كنتَ تملؤُه مهابةً ، مَنْ رأتْه عينُه ارتعدا[5]
أين الأعادي الأُلَى ذَلَّلْتَ مُصْعبَهم أينَ الليوثُ التي صيرتَها بدَدا ؟[6]
أين الجيادُ التي حجّلتَها بدمٍ وكنّ يحملْن منكَ الضَّيْغَم الأسدا ؟
أين الرَماحُ التي غذّيتَها مُهَجاً مذ مُتَّ ما وردَتْ قلباً ولا كبدا
أينَ الوصائفُ كالغزلان راتعةً يسحَبْنَ من حُلَلٍ موشيَّةٍ جُدُدا ؟[7]
أين الوثوبُ إلى الأعداء مبتغياً صلاحَ مُلْك بني العباس إذْ فسدا ؟
ما زلْتَ تقسِرُ منهم كلَّ قَسْوَرةٍ وتحطم العاليَ الجبَّار معتمدا
ثمَّ انقضيت فلا عينٌ ولا أثَرٌ حتى كأنَّك يوماً لم تكن أحدا

---

(١) من البحر المديد . الوجيب : اضطراب القلب .

(٢) يُشاك : تصيبه شوكة .

(٣) لا يجوز سبّ الدهر ، ولا ذمّه ، لذلك استغفر . صمد : مقصود .

(٤) غبراء مظلمة : القبر . الطاهريّة : اسم موضع . مقصى : مُبْعَد .

(٥) مهابة : تمييز . (٦) بدد : متفرّقة .

(٧) موشية : مزدانة . جدد : طرُق .

خلَفَ المعتضدَ على الحكم ابنه عليّ (المكتفي با لله) ، فنهضَ بأعباء الخلافة من عام ٢٨٩ هـ إلى عام ٢٩٥ هـ ، وفيه مات المكتفي شاباً وهو ابن إحدى وثلاثين سنة .

ولَدُ ابن عمّه يُطيح به

بعد موت المكتفي آلتْ مقاليد الخلافة إلى أخيه جعفر بن المعتضد الملقّب بالمقتدر با لله ، وكان صغيرَ السنّ ، فطمع قوم بخلْعه واستخْلاف عبد ا لله بن المعتزّ ، ونجحوا إلى حِين يسير[1] ، ولكنه لم يزدْ على يومٍ وليلة ، وبعدهما استردّ أنصار المقتدر له الحكومة ، وقتلوا عبد ا لله بن المعتزّ الذي كان قد لقّب بالغالب . وما كان أغناه عن ذلك " الانقلاب " الذي تورّط فيه ، وما كان له فيه ولا في السياسة كبير هوى ، إنّما دلاّه بعضُ المشتغلين بالسّياسة ، فما تمتّع بالكُرْسيّ سوى يوم وليلة ، ثم أُديل منه ، ومن الطّريف أنّ عبد العزيز سيّد الأهْل[2] ألّف في سيرة ابن المعتزّ كتاباً أسماه " يوم وليلة " ، وقال لي عندما زرتُه

(١) تسلّم المقتدر الحكم وهو في الثالثة عشرة من عمره ، فلما نشبت الثورة عليه بقيادة ابن المعتزّ كان يلعب بالأُكْرة (الكرة) أمام قصره ، فلمّا لمح الثوار هرب إلى داخل القصر . و لم يقتله الثائرون .

(٢) عبد العزيز سيد الأهل : شاعر مصري من أعضاء جمعية الشبّان المسلمين ، كان يدرّس في معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة ، ودرّس في بلدان كثيرة خارج مصر ، وكتب ما ينوف على خمسة وعشرين كتاباً ، ثقافته حسنة ، وهو ممّن يتزلّفون إلى أولي الأمر ابتغاء التكسّب ، له مدح للملك فاروق ، وعبد الناصر ، والسّادات ، وكتاب عن جعفر الصّادق درَّ عليه مالاً طائلاً ، وكتاب في جمال الدين الأفغاني ، وآخر في مدخل إلى التصوّف .

في منزله بحدائق حلوان بالقاهرة خلال وفادتي إلى مصر : إني كتبتُ هذا السِّفر في يوم وليلة أيضاً ، فقط . وأفاد أحمد كمال زكي في كتابه " عبد الله ابن المعتزّ " كثيراً من كتّاب سيّد الأهل .

ويمكن القول أخيراً إنّ تلك الفترة من الاضطراب السياسي لم يحظ فيها المسلمون بحاكم كُفْء يقمع الفتن ، وينهض بأعباء الحُكْم ، نهوض الراشدين ، أو الأمويين ، أو حكام العصر العباسي الأوّل ، واستغلّ أصحاب المنازع الانفصاليّة ذلك إلى درجة أنّ بعضهم صنع صنائعَ يندَى لها جبين الإنسانية ، من دون أنْ يتمكّن أولو الأمر من وضع حدّله أو ردعه ؛ قال السيوطي في تاريخ الخلفاء : " وفي هذه السنة (٣١٧ هـ) سيّر المقتدر ركب الحاجّ مع منصور الديلمي ، فوصلوا إلى مكّة سالمين ، فوافاهم يومَ التروية عدوُّ الله أبو طاهر القِرْمطيّ ، فقتل الحجيج في المسجد الحرام قتلاً ذريعاً ، وطرح القتلى في بئر زمزم ، وضرب الحجر الأسود بدبّوس[1] فكسَره ، ثمّ اقتلعه ، وأقام بها أحد عشر يوماً ثمّ رحلوا ، وبقي الحجر الأسود عندهم (في منطقة البحرين) أكثر من عشرين سنة ، ودُفع لهم فيه خمسون ألف دينار (ليعيدوه) فأبَوْا ، حتى أُعيد في خلافة المطيع .

قال محمد بن الربيع بن سليمان : كنت بمكّة سنة القرامطة ، فصعد رجل لقلع الميزاب وأنا أراه ، فعِيل صبري ،وقلت : يارب ما أحلمَك ! فسقط الرجل على دماغه فمات وصعد القرمطي (أبو طاهر) على باب الكعبة ، وهو يقول :

أنا بالله وبالله أنا   يخلُق الخَلْقَ وأُفنيهم أنا

---

(١) دبوس : قضيب من حديد مُدَمْلَكٌ (أي رأسه مملّس مستدير) .

ولم يفلح أبو طاهر القرمطي بعدها ، وتقطّع جسده بالجدري [1] . وقتل الشّغبيّون الخليفة المقتدر سنة ٣٢٠هـ .

أسلوب الشاعر عبد الله بن المعتزّ

لعلّ أهم شاعرين أثّرا في ابن المعتزّ أبوه ، والبحتري ، ويمكن القول إن أغلب ما تركه يعدّ حسناً أو جيداً ، وأهم ملامحه دقة الإيقاع الصوتي ، ونجاحه ، وجمال نغمه ، واعتناؤه بالتشبيهات والاستعارات والجناس والطباق ، وكان قد عرض لها - كما سلف - في كتابه البديع الذي لم يَقْصِرْه على ما يندرج اليوم في علم البديع فقط ، وهو يعدّ في جماعة الشعراء المحافظين في أسلوبهم على نهج القدماء وعمود الشعر القديم ، بصفة عامّة .

المديح في شعره

مدح عبد الله بن المعتزّ عمّه المعتمد بن المتوكّل ، ونادمه ، ومدح أيضاً عمّه الآخر الموفّق طلحة ، وكان بطلاً مغواراً قضى على ثورة الزنج ، وأذاق صاحبهم كأس المنون ، يقول ابن المعتزّ في ذلك :

ولمّا طغى أمرُ الدَّعيِّ رميتَه ... بعزمٍ يردّ السَّيفَ وهو كليلُ
وأعلمتَه كيف التَّصافحُ بالقنا ... وكيف تُروَّى البيضُ وهي مُحولُ [2]

وكان المعتضد بن الموفق طلحة أو قل ابن عمّ ابن المعتزّ شديد الدنوّ من نفسه ، ومرّ بنا مدح ابن المعتزّ له بدَعْم المُلْك ، وشَدّهِ بعد الضَّعف ، وكان المعتضد قد بنى مجموعة من الدور والقصور أسماها " الثريّا " ، فيشير ابن المعتزّ إلى ذلك ، ويرى أن جنّ سليمان أعجز من أن تبني مثلها :

---

(١) تاريخ الخلفاء (بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد) ط٣ ، صفحة ٣٨٣ .

(٢) القنا : الرماح . البيض : السيوف . محول : مجدبة .

سلمتَ -أمير المؤمنين- على الدّهرِ ولا زلْتَ فينا باقياً واسعَ العُمْرِ
حَلَلْتَ الثُّرَيّا خيرَ دارٍ ومنزلٍ فلا زال معموراً وبورك منْ قَصْرِ
فليس لـه فيما بنى النّاسُ مُشْبِهٌ ولا ما بناه الجنّ في سالف الدَّهْرِ

وكان الخليفة قد أنفق على تلك القصور مبالغ ضخمة، وبثّ من حولها البساتين والرّياض، وكانتْ منطقتها واسعة تمتد نحو ثلاثة فراسخ، فصارت بديعة في الحسن:

وأنهارُ ماءٍ كالسلاسل فُجِّرتْ لتُرْضعَ أولادَ الرّياحين والزّهْرِ
جنانٌ وأشجارٌ تلاقتْ غصونُها فأورقْنَ بالأثمار والورقِ الخُضْرِ
ترى الطّيرَ في أغصانهنّ هواتفاً تنقّلُ من وكْرٍ لهنّ إلى وكْرِ

ويتحدّث بعد ذلك عن قوّة المعتضد، وعدْله وحسن سياسته:

حكمْتَ بعدْلٍ لم يرَ النّاسُ مثْلَه وداويْتَ بالرّفْقِ الجُموحَ وبالقهْرِ

وما منْ شكّ في أنّ أبناء عمومته الخلفاء كانوا يُغدقون عليه مالاً موفوراً، وهو إغداق كفاه التكسّب بشعره، فلم يمدحْ إلاّ مَنْ تغلغلتْ مودّته في صدره، مثل الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب الذي يقول فيه:

أيا مُوصِلَ النُّعمى على كل حالةٍ إليّ قريباً كنتَ أو نازحَ الدّارِ
كما يلحقُ الغيثُ البلادَ بسيلِهِ وإنْ جاد في أرض سواها بأمطار
لقد عمر الله الوزارةَ باسمِه وردّ إليها أهلَها بعد إقفار[1]
وكانت زماناً لا يَقِرُّ قرارُها فلاقتْ نصاباً ثابتاً غيرَ خوّار[2]

---

(١) إقفار: إجداب. كانت الوزارة لا تحظى بكفْء لها حتى جاء ابن وهب
(٢) خوّار: ضعيف.

فالوزير ابن وهب - وزير المعتضد - كان لا يضن على ابن المعتز ببر ولا خير ، ويخصّه بوابل عطائه الوفير ، من غير حساب ، على نحو لا يُحْظيه سواه ، ولقد تسلّم منصب الوزارة بجدارة ، فكان أحقّ بها ، وأهلها ، فاستقرّت الأمور بعد طول اضطراب ، واستمرّت[1] بعد ضعف

رثــــاؤه

يدلّ على صدق إحساس الشاعر في مِدْحته السالفة لابن وهب تفجُّعه عليه لما انتقل إلى جوار ربّه ، وتحسّره على افتقاد الدولة لكاتب بارع ، وسياسي محنّك ، قويّ الفكر ، سديد الرأي ، ويتوقع للحكومة من بعد ابن وهب مصاعب كثيرة :

هذا أبو القاسم في نَعْشِه ... قوموا انظروا كيف تسيرُ الجبالْ

يــا ناصــر المُلْك بآرائهِ ... بعــدك للمُلك ليمــالٍ طــوالْ

قلة الهجاء عنده

كان عبد الله بن المعتزّ يربأ بنفسه عن الأحقاد واللّددِ في الخصومات ، ويُعْرِض عن التعادي ، لذلك لا نرى في شعره هجاء إلاّ ما كان من قبيل الدُّعابة ، على شاكلة تندّره من الشاعر عليّ بن بسّام :

يا قذىً في العيون يا حُرقَــةً بينَ ... التَّراقِي ، حَزَّازةً في الفؤادِ[2]

يـــا طلوعَ العذولِ ما بين إلْفِ ... يا غريماً وافى على ميْعــادِ[3]

---

(١) استمّرتْ : قويتْ ، من أمرّ الحبل إذا أحكم فَتله .

(٢) القذى : جمع قذاة ، ما قد يقع في العين من قشّ ونحوه . التراقي : جمع ترقوة . التقعّر بجوار العنق . حزازة : مؤلمة .

(٣) العذول :اللائم يهاجم المحبّين .غريم :صاحب الدَّين وافى المُسْتدين في الوقت المحدد .

خَــلِّ عَـنـا فـإنـمـا أنتَ فينــا واوُ عَمْرو أو كالحديث المُعَادِ

والـواو في كلمـة " عمـرو " زائـدة ، تكتـب ولا تلفـظ ، وإنمّـا زيـدتْ للتفرقة ما بين هذه الكلمة وكلمة عمر .

الـــفـــخـــر

يفخر ابن المعتزّ ببني العباس ، وجموعهم الغلاّبة ، ولسنهم المفْلِق البليـغ ، وقوّتهم العارمة ، وبتْرهم لـرؤوس أعـاديهم ، فهـي تتطـاير بسـيوفهم ، وكأنهـا طيور كنّ واقعات على الأبدان فنفّرتْ عنها :

إنّــا لننْتــاب العُـداةَ وإنْ نــأوْا ونهزُّ أحشـاء البـلادِ جموعـا(١)

ونقـولُ فـوق أسـرَّةٍ ومنـابرٍ عجباً من القول المصيب بديعا(٢)

قومٌ إذا غضبوا على أعدائهم جرُّوا الحديدَ أزجَّةً ودروعـا(٣)

وكـأن أيدينـا تنفّـر عنهـمُ طيراً علـى الأبـدان كُـنّ وُقوعـا

ويدعـو الطـالبيّين إلى تناسـي الخلافـات الماضيـة ليتجمعـوا مـن جديـد ، ويُذْهبوا عنهم جميعاً كيد الشّيْطان ، وإحَنه الـتي عُهـدتْ منـه منـذ دسّ العـداوة والبغضاء بين أولاد يعقوب عليه السلام :

بنـي عمّنـا عودوا نعدْ لمـودّةٍ فإنّا إلى الحُسنى سراعُ التعطُّفِ

لقد بلغ الشيطانُ من آل هاشمٍ مَبالغَه من قَبْـلُ فـي آل يوسُفِ

---

(١) ننتاب : نغزو . نأوا : ابتعدوا .

(٢) أسرّة : جمع سرير .

(٣) أزجّة : جمع زجاج ، وهو رأس الرمح .

الـــوصـــف

في شعر ابن المعتزّ بعض الأوصاف الغزليّة ، هي أقرب إلى الدُّعابة والتندّر ، وله وصفٌ لمجالس اللهو والخمرة ، ولكنْ له قصيدة مزدوجة [1] تقع في مائة وعشرين بيتاً يذمّ فيها الخمرة ، على شاكلة قوله :

فأيُ فضْلٍ للصَّبُوحِ يُعْرفُ ... على الغَبُوقِ والظَّلامُ مُسْدِفْ[2]

وهو يكثر من وصف البساتين والرياض والأزاهير ، كما في قوله :

وياسَمينٌ فـي ذُرَى الأغصـانِ ... منتظـمٌ كقطـعِ العِقْيـانِ[3]

والسَّرْو مثل قضُـبِ الزَّبَرْجـدِ ... قد استمدَّ العيشَ من تُرْبٍ ندي[4]

علـى ريـاضٍ وثـرىً ثَـريٍّ ... وجَـدْوَلٍ كـالمبردِ الجلـيِّ

وابن المعتزّ بارع في تشبيهاته ، فالهلال مثل زورق مصنوع من فضّة حُمّل بالعنبر ، وهو نوع من الطّيب :

انظرْ إليه كزورقٍ مـن فضـةٍ ... قد أثقلته حمولةٌ من عنْبرِ

ويشبّهه مرّة أخرى بمنجل مصنوع أيضاً من فضّة وهو يحصد النرجس :

كمنْجلٍ قد صيغَ من فضَةٍ ... يحصُد من زهر الدُّجى نَرجِسَا

---

(١) المزدوجة : قصيدة كل أبياتها مصرَّعة ، أي ينتهي كل شطرين من البيت بحرف واحد ، ولكل بيت رويّ جديد مغاير لما قبله .

(٢) مسدف : مسدل الستائر .

(٣) العقيان : حجر كريم .

(٤) ندي : رطْب .

ويشبّه بعض الأزهار وقد تساقطت عليها أشعّة الشمس بمَداهن ذهبيّةٌ فيها أثارةً من المِسْك :

كـأنَّ آذريونَهـا والشمسُ فيه كاليَة [1]
مداهـنٌ مـن ذهـبٍ فيهـا بقايـا غاليـة [2]

ويروى أن الشاعر ابن الرومي استمع إلى هذا التشبيه الأخير ، فصاح : واغَوْثاه ، وأعلن أنّه هو أعجز من أن يأتي بمثله ، وأغلبُ الظنّ أن ذلك إنّما كان تملُّقاً من ابن الرومي لشاعر من أبناء البلاط ، وإلاّ فمن يَعْدل تشبيه ابن المعتزّ بقول ابن الرومي في غروب الشمس :

وقد رنَّقتْ شمسُ الأصيل ونفَّضَتْ على الأفق الغربيَ ورساً مُزَعْزَعا [3]
وودّعت الدنيا لتقضي نحبَها وشَوّلَ باقي عمرها فتشعشعا [4]

وكان لابن المعتزّ وصفٌ موفّق للخيول ، وأشعار حسنة في الصَّيد والطَّرْديّات .

---

(١) الآذريون : زهر أصفر في وسطه خمل أسود . كالية : حافظة ، طالعة .

(٢) غالية : مسْك . والمسك أسود اللون .

(٣) رنّق الطائر بجناحيه : خفق بهما دون أن يطير . نفّضت : نثرتْ . الورس : نبات أصفر ، وبعضه أحمر.مزعزع : مبعثر ، مفرّق .

(٤) نحبها : أجلها . شوّل : نقص . تشعشع : تبدّد .